المعجم الشعري في إلياذة الجزائر " لشاعر الثورة الجزائرية : مفدي زكريا."

الدكتور بوزيد ساسي هادف – جامعة 8 ماي 1945 قالمة – الجزائر

الملخص باللغة العربية :

نظرا لأهمية المعجم الشعري لدى كل شاعر باعتباره العنصر الأساسي الذي يشكل منه الشاعر قصائده و مقطوعاته ، إذ يتمثل في مجموعة الكلمات التي يستخدمها ، و الصور التي يبتدعها أو يقلدها ، و الرموز التي يستوحيها فيوظفها لخدمة هذا النص الشعري أو ذاك . و لكونه ذا قدرة كبيرة على تحديد البنيات الأساسية في النص . رأيت أن يكون هذا البحث المتواضع موسوما ب : " المعجم الشعري في إلياذة الجزائر " لشاعر الثورة الجزائرية (مفدي زكريا) . أحاول خلاله الوقوف على اللبنات الأساسية التي اتخذها الشاعر مادة لبناء إلياذته باعتبارها وثيقة تاريخية سجلت تاريخ الجزائر قديمه وحديثه بأحرف من ذهب و بمسحة جمالية .كما أحاول في الوقت نفسه التعرف على المصادر التي استقى منها الشاعر مادته اللغوية و كيفية توظيفها .

Résumé en Français :

Le dictionnaire poétique de chaque auteur ; représentant l'élément essentiel et englobant l'ensemble des mots ; des figures de style ; et des symboles choisis , lui permettant l'élaboration de son texte . son importance réside dans l'action déterminante des structures de base du texte poétique . De ce faite , il m'a semblé adéquat de choisir le titre de cette modeste recherche comme suite:

« LE DICTIONNAIRE POETIQUE DANS L'ODYSEE

ALGERIENNE) du poète de la révolution Algérienne (MOUFDI ZEKERIA). A travers cette étude j'ai essayé de déterminer les matières utilisées pour l'élaboration de son texte considéré comme un document de référence de l'histoire Algérienne .
Par occasion j'ai essayé de remonter aux sources desquelles l'auteur a puisé les matières linguistiques qui ont donné un cachet particulier à son style.

Resumé en anglais

The poetic dictionary of each author, representing the essential and encompassing all the words, and figures of speech and symbols chosen, enabling the development of its text. its importance lies in the decisive action of the basic structures of the poetic text. Therefore, it seemed appropriate to choose the title of this modest research as follows: "THE DICTIONARY IN THE POETIC ODYSEE ALGERIENNE) of the poet of the Algerian revolution (MOUFDI ZEKERIA). Through this study tried to determine the materials used for the preparation of his text as a reference document in the history of Algeria. By chance I tried to retrieve the sources from which the author has drawn language materials that have given a touch to his style.

تمهيـــــــد

إذا كان الشعر بناء ، فالشاعر هو مهندس هذا البناء ، وإذا كان هذا البناء محكما جميلا، فالفضل يرجع بلا شك إلى مهندسه . فالشاعر المجيد بمثابة المهندس البارع يكون حظه من البراعة بمقدار استغلاله لكل الإمكانات في تشييد بنائه و تسخير كل ما يراه مناسبا لتأسيسه تأمين تماسكه، و بقدر ما يبرع الشاعر في تعامله مع الكلمات يكون حظه من الفن و الشاعرية ، ويحكم له أو عليه على هذا الأساس . من هنا تأتي أهمية المعجم الشعري ، أو قل العناصر الأساسية التي يشكل منها الشاعر قصائده ومقطوعاته . وهذه العناصر تتمثل في مجموعة الكلمات التي يستخدمها، و الصور التي يبتدعها أو يقلدها ، وكذلك الرموز التي يستوحيها

فيوظفها لخدمة هذا النص الشعري أو ذاك . يقول يوري لتمان : " **رغم الأهمية التي يكتسبها كل مستوى موضح في النص الفني في تشكيل البنية الكلية للعمل ، فإن الكلمة تبقى الوحدة الأساس للبناء الفني اللغوي، فكل الطبقات البنيوية ما تحت الكلمة (التنظيم على مستوى أجزاء الكلمة) وما فوق الكلمة (التنظيم على مستوى المتواليات) لا تكتسب دلالتها إلا من خلال علاقتها بالمستوى المشكل من قبل الكلمات** "(1) وعلى هذا الأساس فإن للمعجم الشعري قدرة كبيرة على تحديد البنيات الدلالية الأساسية في النص . وعلى الرغم ما للأصوات والمستويات غير اللغوية من قدرة إيحائية، يبقى التعرف على المعجم الشعري ضروريا للكشف عن الحقول الدلالية وتحديدها داخل النص كمفتاح لتحديد البنيات الأساسية لها.. ونظرا لأهمية المعجم الشعري عند كل شاعر ارتأيت أن تكون مقالتي موسومة بـــ"**المعجم الشعري في "إلياذة الجزائر " لمفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية** " أحاول من خلالها الوقوف على اللبنات الأساسية التي اتخذها شاعرنا مادة لبناء إلياذته التي يناهز عدد أبياتها الشعرية الواحد بعد الألف ، والتي تكاد تتوزع بالتساوي على مائة مقطوعة بمعدل عشرة أبيات لكل واحدة. كما أحاول في الوقت نفسه التعرف على المصادر التي استقى منها مفدي زكريا مادته اللغوية و كيفية توظيفها .

وعلى أية حال فإن الاهتمام بالنص يبقى الهدف الأول والأخير، وهذا يتطلب قراءته رأسيا وأفقيا على حد سواء : أفقيا لرؤية طريقة الشاعر في ضم كلماته بعضها إلى بعض في البيت الواحد ، ورأسيا لمعرفة أي أنواع الكلمات يختارها على وجه الخصوص من مخزونه اللغوي (2)لأجل ذلك رحت أقرأ " الإلياذة " مرات ومرات ، ومع كل مرة أقرأها فيها أجدها تجود بأشياء كانت تضن بها في مرات سابقة . وهذا ليس بغريب ، و ذلك لأن تنوع القراءة مع تنوع ظروفها تساعد على

استكشاف بواطن النص و استكناه خفاياه . وهذا التكرار يعيننا على التأكد من سلامة تلقينا للنص ويقودنا إلى سلامة الحكم عليه كما يقول عبد الله الغذامي (3).

إن تلك القراءات المتوالية جعلتني أحكم على أن لكل عنصر من عناصر الإلياذة له قيمته ، ولكنها بنسب غير متساوية . كما وجدت كذلك أن المعجم الشعري في " إلياذة الجزائر " يستمد مادته من المصادر الآتية :

المبحث الأول : الاقتباس من القرآن الكريم

لقد استخدم مفدي زكريا في" إلياذته " بعض الصيغ الجاهزة ، أحيانا بألفاظها ، و أخرى باستيحاء معانيها و وضعها في كلمات من عنده . و مصدره في هذا القرآن الكريم . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

يقول مفدي زكريا :

وأوقفت ركب الزمان طويلا ** أسائله : عن ثمود ...و عاد ...

وعن قصة المجد...من عهد نوح ** وهل إرم ... هي ذات العماد ؟

فأقسم هذا الزمان يمـــينا ** وقال الجزائر ...دون عنـــــاد (4)

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أن شاعرنا قد اقتبسها من قوله تعالى :

" ألم تر كيف فعل ربك بعاد (*) إرم ذات العماد (*) التي لم يخلق مثلها في البلاد (*) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (*)..." (5)

و يقول في موضع آخر من الإلياذة :

وأخرجت الأرض أثقالها ** فطار بها العلم ... فوق الخيال ..

توفر للشعب أقـــــداره ** وتكفي الجزائـــر ذل السؤال (6)

فالشطر الأول من البيت الأول مقتبس عن قوله تعالى :

" إذا زلزلت الأرض زلزالها (*) و أخرجت الأرض أثقالها(*) (7)"

وقولـــــه :

يغمراسن الشهم ضاق اصطبارا ** وغالب خمسين عاما عجافا (8)

وكلمة (عجاف) من الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى :

" وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف و سبع سنبلات خضر و أخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون "(9)

وقوله كذلك :

وصعرت للجـــــنرالات خدا ** فخابت نوايـــــــاهم الآثمة(10)

فهذا البيت مقتبس من قوله تعالى :

" ولا تصعر خدك للناس و لا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور " (11) وقوله :

وسبح لله ما في السماوات ** والأرض ملء شفائف شفا

كأنك تصغى بها للخليل **، وموسى الكليم ، يرتل صحفا (12)

فالبيت الأول مقتبس من قوله تعالى : " يسبح لله ما في السماوات والأرض له الملك له الحمد وهو على كل شيء قدير " (13)

أما البيت الثاني فهو عبارة عن إشارة إلى قوله تعالى : " إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم و موسى " (14)

إلى غير ذلك من الإقتباسات القرآنية ، اللفظية و المعنوية ، المبثوثة في ثنايا الإلياذة ، مما يوضح لنا الثقافة الإسلامية التي يحظى بها شاعر الثورة الجزائرية.

المبحث الثـــاني : الاقتبـــاس من التاريخ العربي و الإسلامي :

لقد اقتبس مفدي زكريا من التاريخ العربي و الإسلامي بعض الأسماء لأعلام لها اليد الطولى في بناء الحضارة العربية و الإسلامية أمثال خالد بن الوليد و سعد بن أبي وقاص ...، كما ذكر أسماء بعض الأنبياء و الرسل ، نذكر منها : رسول البشرية محمد صلى الله عليه و سلم ، و النبي عيسى عليه السلام ، ونوح عيه السلام و آدم أبو البشرية ، و حواء أم البشرية ...

يقول مفدي زكريا في إحدى مقطوعاته من الإلياذة :

أولئك آباؤنا ، منذ عيـــسى ** وكان محمدا صهرا لعيـــسى

ولاح الصباح ، فهز السكارى ** وأجلى الندامى و رد الكؤوسا

وأيقظ حلم الليالي الحبالـــــــى ** وأسرج في الكائنات الشموسا

وأهوى على البغي ، يذرو الجذوع ،** ويغرس في الجبروت الفؤوســـا

وحذر آدم ظلـــــــم أخيـــــه ** وسوى الحظوظ و أعلى الرؤوسا

وأخرج حواء من رمســـــــها ** فألهمت الروح هذي الرموســـا

لئن حارب الدين خبث النـــفـــوس ، فلم يغمط الدين هذي النفوســـا

و لم نكن ننكر آبـــــــاءنـــا ** أكانوا نصـــارى ...أكـــانوا مجوســـا

وهل كان بربـــــر إلا شقيـــقا ** لجرهم ؟ هلا نسينا الدروســـا

إذا عرب الدين أصلابنـــــــا ** فمازال أحمـــد صهرا لعيـــســـى (15)

ويقول في موضع آخر من الإلياذة:

وكان الفرنسيس صما و بكمـــا ** وعميا، فأصغى لنا من تمـــارى

وما كان عيسى ظلوما جهـــولا ** وكان محمد ، يرعى النـــارى(16)

هو الحقد طير صبر الرصاص ، ** فألهب منه القصاص الفتيـــــلا

وأغضب عيسى وراع الصليـــــب فناشـــدنا أن نرد المثيـــــــلا

صرخنا فلم يعبـــؤوا بالصـــرا ** خ ، فلم يك غير القصاص سبيـــلا (17)

ويقول في موضع آخر :

وقالت : جزائرنا الغاليـــة ** هو الصدق حقق أمـــالـــه

ومن دم شعبي ، و أكبـــاده ** إلى النصر ، قدمت قربانيـــه

وجندت من خالد بن الوليـــد ، ** وسعد بن وقاص أبطـــاليـــه

وجددت حطين في موطـــني ** وخلدت أمجاد أنطـــاكيـــه (18)

ففي هذه المقطوعات و غيرها، نراه يذكر أسماء أعلام عربية و إسلامية ، كما يذكر أسماء أنبياء ورسل ، ويستحضرها استحضارا مباشرا ، دون الخوض في تبيان ملامح تلك الشخصيات ، ربما لكونها معروفة لدى العام و الخاص ، أو فعل ذلك عن قصد لترك المجال مفتوحا للقارئ لتأويلها حسب الغرض و الغاية من توظيفها.

وبذكره لأسماء الأنبياء ، ربما أراد أن يشير إلى صلة التقارب بينهم ، و إلى التسامح الذي كان يطبع كل الأديان ، إلا أن النزعة الاستعمارية لدى الشعوب ،وحب السيطرة والتسلط ، حول ذلك التسامح إلى حقد و بغضاء و عدوانية .

وبذكره لأسماء قادة مسلمين ، أمثال (خالد بن الوليد ، و سعد بن أي وقاص وغيرهما) ، فإنه أراد أن يستلهم البطولات التي كان يتصف بها أولئك القادة ، ليبث الحماس في أبطال الجزائر ، وكأني به أراد من الشعب الجزائر كله أن يتخذ أولئك القادة الميامين قدوة لهم في حربهم ضد الاستعمار الفرنسي الظالم .

المبـــحث الثـــالث : الاقتباس من التاريخ الجزائري القديم و الحديث :

1 ـــــ أولا الاقتباس من التاريخ الجزائري القديم : لقد استقى شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في إلياذته أسماء ثورات ظافرة وشخصيات بارزة من التاريخ الجزائري القديم كانت لها اليد الطولى في بناء مجد الجزائر أمثال : (**زيري ، و بولوغين ، و فيرموس و دوناطوس ... و غيرهم..**) حيث يقول : (**19**)

وقفنا نحـــي بها ألف عام ** ونقـــري زيـــري(20) العظيم لـــلام

فقام بولوغين(21) في عيدنا ** يهـــــز الدنا ، و يـــروع الأنـــــــام

وسيبوس(22) فاض فتاه دلالا ** يعانـــــق زيري المليـــك الهمـــــام

بولوغين إن صانها فيرموس(23) ** وحازت أكوسيوم(24) أقصى المرام

وهب الأمازيغ من دوناطو ** س(25) تصول، وتزجي الخميس اللهام

فأبناء مازيغ قادوا الفـــــدا ** وخاضـــــــوا المعامع يوم الصـــــدام

وساقوا المقادير طوع خطاهم ** وشادوا البناء ... وأقروا النظـــــــام

إن شاعرنا مفدي زكريا في هذه الأبيات يريد التأكيد على الهوية الوطنية والانتماء التاريخي وتكذيب مزاعم فرنسا التي تتنكر لأمجاد الجزائر التليدة ، وتدعي أن الجزائر قطعة فرنسية ، وأن أجدادنا من الغاليين .

ثم نرى شاعرنا يعود مرة أخرى بحماس فياض ، وفخر واعتزاز ، ليؤكد على مجد الجزائر العظيم الذي بناه أجدادنا منذ القدم ، فيذكر " **ماسينيسا** ، **ويوغورطة** ، وغيرهما من الشخصيات التي لعبت دوا كبيرا في بناء مجد الجزائر، فيقول :(**26**)

دعوا مـــاسينيسا (27) يردد صدانـــا ** ذروه، يخلـــد زكى دمانـــا

وخلوا سفاكس(28) يحكي لروما ** مدى الدهر كيف كسبنا الرهانـــا

وكيف غدا ظافرا ماسينـــــيسا ** بزامة ، لم يرض فيها الهوانـــــــا

وكم ساوموه ، فثـــــار إبـــاء ** وأقسم أن لا يعيش جبـــــــانـــا(29)

إلى أن يقول :

فجاء يوغورطا(30)على هديه ** بحكم الجماهير يفشي الأنامـــــــا

وقال : " مدينة رومـــــا تبا ** ع لمن يشتريها ... فهز الكيلـــــنا

ووحد سيرتا بأعطاف كاف ** وأولى الأمازيغ عزا و شانـــــــا (31)

إلى غير ذلك من القبائل و الشخصيات التاريخية التي أسهمت في بناء مجد الجزائر منذ التاريخ أمثال : (تكفرناس ، و سانت أغستين ، و أبولوس و يوبا الثاني ، و عقبة بن نافع ، وكسيلة ، وابن رستم ، وابن تومرت ، وعبد المؤمن بن علي ، ويغمراسن ، ويحي بن خلدون ،.....وغيرهم)

إلى أن يعلن جهارا نهارا أن الفرنسيين و أذنابهم قد حسدوا الجزائر و الجزائريين على مجدهم العظيم الذي بني منذ فترات زمنية مترامية في القدم ، على يدي أبطال عظماء ضحوا بأعز ما يملكون ليبقى هذا المجد صرحا شامخا ثابتا لا يتحلحل رغم العواصف و المحن. حيث يقول :

فكم حسدونا على مجدنا ** وجاروا على البلد الطـــيب

وكم بالجزائر من معجزات ** وإن جحدوا ، و لم تكتب

وقالوا : الرسالات من مشرق الشمس ، لكن يخالفهم مذهـــبي

ولو أرسل الله من مغرب ** نبيا ... إذن ...كذبوا بالنبي (32)

2 ـــــ الاقتباس من التاريخ الجزائري الحديث : و تأكيدا على استمرارية النضال الجزائر وتحدي الاستعمار الفرنسي الغاشم ، نرى الشاعر يستنطق التاريخ الجزائري الحديث ، ليستلهم منه تلك الثورات الشعبية التي انطلقت هنا و هناك في ربوع الجزائر العميقة ، تحت قيادات رشيدة وأبطال أشاوس ، فراحت تقلق فرنسا العجوز ، و تكدر عيشها ، و تعكر صفوها. ابتداء من(مقاومة الأمير عبد القادر، و ثورة الزعاطشة بقيادة الشهيد عبد الرحمن بن زيان ، و ثورة أبي معزة و أبي بغلة، و لالا فاطمة نسومر ، و أولاد سيد الشيخ بقيادة الباشاغا سليمان بن حمزة بن بوبكر ، و المقراني و الحداد .... و غيرهم)

يقول مفدي زكريا بمناسبة مبايعة الأمير عبد القادر بالإمارة بمدينة " مُعسكر " بالغرب الجزائري حيث يقول :

مُعسكر فجر عزم الشباب ** فطاول عملاقها الأنجمـــا

وبويع ، شاعرها الهاشمي ** فكان بها القائد الملهمـــا

يصوغ النظام ، و يبري الحسام ، فيقطر ذاك ، و هذا.. دما (33)

ففي هذه الأبيات يتناول الشاعر مبايعة الأمير عبد القادر بمدينة معسكر (بالغرب الجزائري) وهو لم يتجاوز الرابعة و العشرين من عمره بعد ، لما رأوا فيه من شهامة و قوة الشكيمة والرأي الصائب. لقد قاد الأمير عبد القادر الجزائري المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ثمانية عشرة عاماً من 1830 إلى 1848م حمل خلالها فرنسا ما لا تطيق، وأذاق قادتها العذاب المرير.إذ يقول مفدي زكريا :

وحملت ماريان ما لا تطيق ** وجرعت بيجو العذاب المريرا

ثمان و عشرا ...تخوض المنايا ** وتجزي السرايا و تبـــني المصيرا

وتدمغ بالعلوم من جادلو ** ك ، فكنت الضليع ،.وكانوا الحميرا(34)

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر بعض القادة الجزائريين الذين أكملوا مسار المقاومة وأخذوا المشعل من أيدي الأمير عبد القادر، بعد أن سقط أسيرا . حيث يقول :

تلقف رايتك ابن الجزائر ** وعند ابن زيان(35) تبلى السرائر

وهب الزعاطشة الثائرو ** ن ، فهب لنصرتهم كل ثـــــــائر

تحدى ابن زيان سخف اللئـــام ، ** فمات الشهيد فداء الجزائـــر (36)

ففي هذه الأبيات يشير إلى ثورة " الزعاطشة " بقيادة الزعيم الشهيد عبد الرحمان بن زيان ، الذي فضل أن يموت شهيدا عزيزا مكرما، على أن يعيش ذليلا خاضعا مستكينا ، إذ أبى تلك المساومات و الإغراءات التي تصله من القادة الفرنسيين مقابل الإبقاء عل حياته .

ثم يعرج على ذكر ثورة أبي معزة و أبي بغلة وما وقع فيها من معارك بطولية في كل من سطيف وقسنطينة ، إذ يقول :

ويذكر أبو معزة للجبـــا ** ل ،صراع أبي بغلة في المغاور

وتحفظ سطيف لأبطالها ** وأبطال سرتا جلال المفاخر (37)

يقول كذلك مخلدا بطولات (**لالا افاطمة نسومر**) التي كانت تسير الثورة في جبال جرجرة أولا مع زوجها ثم بمفردها و هي التي صرعت الباشاغا سي الجودي عميل فرنسا، وصمدت في مقاومتها من 1856م إلى 1857م على رأس المجاهدين المسلمين ضد ستة جنرالات فرنسيين : قاستو ، ورينو ، ويوسوف ، وماكماهون ،

وميسيا ، و دليني ، الذين كانوا كلهم تحت القيادة المباشرة للماريشال (**راندون**) الذي ترأس العمليات في نفس الحين الذي كان فيه واليا على الجزائر. فلقد قادت جيشا قوامه سبعة آلاف مجاهد ضد جيش المارشال " راندون " الذي كان يضم خمسة وأربعين ألف مقاتل متوفر على جميع المعدات الحربية الحديثة ، و شملت ساحة العمليات كل جبال جرجرة إلى قمة للاخديجة التي سميت باسم أمها، والموقعة الحاسمة كانت في معمعة " اشريضن " في 24جوان 1857م . لقد اعتقلت للافاطمة في قرية " تكلا" يوم 11 جويلية 1957م مع أتباعها إخوان الرحمانية.

وتذكر ثورتنا العارمة ** بطولات ، سيدتي فاطمـــــة

يفجر بركانها جرجرا ** فترجف باريس و العاصمة (38)

ثم يستمر في ذكر أعمالها البطولية إلى أن يقول :

أتنسى الجزائر حواءها ** وأمجادها لم تزل قائمة ؟(39)

ثم ينتقل بعد ذلك إلى استلهام ثورات أخرى بقيادات و أبطال أخر ، أمثال :

أولاد سيدي الشيخ ، وأبو شوشة ، وابن شهرة ، والشيخ الحداد ، والمقراني، وأبو مزراق... و غيرهم ، حيث يقول :

بنو سيدي الشيخ قادوا النضال ** فهزوا الثـــرى وأذابوا الجبـــــالا

سليمان حمزة آلى يمينـــــــا ** فبر ، وأصلى المغـــير الوبـــــالا

سلوا بوبريت (37) العقيد المسجى ** وحمزة يغـــرس فـــيه النبـــالا

ويستل من صـــــدره روحـــه ** بيمناه ، يبـــكي عليه الثكـــالـــى

ووهران تصرخ فيها الدمـــــاء ** بســـــاح الفدآ تستفز الرجـــالا

وصحراؤنا و ابن شهرة فيهـــــا ** يهيل على الغـــــاصبين الرمـــالا

وجيش أبي شوسة المستميـــــث ، ** بصحرائنا ، ينسف الاحتـــــلالا

وصوت ابن حداد دوى دويـــــا ** ينادي : البدار ، و يدعو : القتـــالا

ومن آل مقران في الشاهقـــــا ** ت ، نسور ، بواشق ، تهوى النـــزالا

وقال بومزراق حـــان الجهـــــا ** د ، فحقق بالمعجزات المحـــــــالا(40)

ففي الأبيات الشعرية السابقة نرى **مفدي زكريا** يحاول إبراز بطولات المقاومة الشعبية الجزائرية ، فثورة أولاد سيدي الشيخ بقيادة الباشاغا سليمان بن حمزة بن بوبكر سنة 1864م، ذلك القائد المغوار الذي التفت حوله قبائل أولاد سيدي الشيخ ، فهزموا الفرنسيين هزيمة نكراء وأعادوا الكرة يوم كان يقود الجيش الفرنسي الكولونيل " **بوبيتر** " وكانت المعركة حامية الوطيس ، ودامت زمنا طويلا ، انتهت بانهزام العدو و موت معظم مقاتليه بما فيهم الكولونيل " بوبريتر " نفسه ، حيث استطاع البطل سليمان بن حمزة بقتله بيده أثناء المعركة . ثم استشهد بعد ذلك خلال المعركة . وكان من بين الفرق المعتدية الجند الجزائري المتطوع مع فرنسا ، لكن ما إن كادت المعركة تلتهب حتى أخذتهم الحمية الإسلامية فانقضوا على الفرنسيين وانضموا إلى المجاهدين. وقام بالصحراء جنوب الأغواط " **بوشوشة** " وفي نفس الصحراء ثار معه المجاهد " **ناصر بن شهرة** " وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه " **بومزراق** و " **المقراني** " ينظمان المقاومة في الشمال. ثم نراه يوضح لنا كيف كان الشيخ عزيز بن الشيخ الحداد يوجه النداءات الصارخة إلى كل مناطق الجزائر يستنفر الناس للقتال و يقول أن الوقت قد حان و أن فرنسا قد أصبحت

فريسة سهلة المنال ، فيجب أن لا نفوت هذه الفرصة وذلك في آخر سنة 1870م ، وكان الاتصال وثيقا آنذاك بين المقراني و الشيخ الحداد . وفي ليلة 14مارس 1871م أعلن المقراني الجاد رسميا بناء على سياسة الإسلام في عدم مباغتة العدو ، وكذلك حسب مبادئ الأمم المتحدة اليوم . وقد أرسل المقراني إلى الجنرال الفرنسي في العاصمة يقول له : " **اعلموا أننا في هذا اليوم قد أعلنا الجهاد عليكم وضدكم وغدا نبتدئ الجهاد** " .

إلى غير ذلك من الثورات الشعبية والقادة الأبطال الذين لقنوا فرنسا دروسا في البطولة و الفداء لن تنساها أبد الدهر.

وبعد فشل المقاومات الشعبية بسبب عدم تنظيمها و حدوث خسائر بشرية في صفوف الجزائريين لعدم التكافؤ في القوى العسكرية ، لجأ الجزائريون إلى النضال السياسي خاصة بعد الحرب العالمية الأولى ، وتزايد الوعي القومي ، و ظهور مبدأ حق تقرير المصير ، فاتخذ عدة مظاهر منها :

ـــ **التيار الاستقلالي** : الذي ظهر في فرنسا نفسها ، و ذلك بزعامة حزب نجم شمال أفريقيا، و الذي يقوده **مصالي الحاج** . يقول مفدي زكريا بهذا الصدد :

لئن بح صوت السيوف الصقال ** وأعفى صرير الرماح العوالـــي

فحرب اليراع أعاد الصـــــــرا ** ع، يقود سراياه نجم الشمـــــال

بأرض فرنسا ، يدك فرنســـــا ** و ينذر ساستهـــــــا بالوبـــال (41)

ـــــ التيار الإصلاحي : لقد ظهر التيار الإصلاحي بزعامة عبد الحميد بن باديس الذي عمل على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي رأت في الإصلاح

وسيلة للحفاظ على اللغة و الدين و تكوين الشباب المؤمن بعروبته و انتمائه التاريخي و العمل عل تهيئته للثورة . يقول شاعرنا :

وفي الدار جمعية العلماء ** تغذي العقول بوحي السمـــــــاء

وتهدي النفوس الصراط السو ** ي وتغرس فيها معاني الإبـــــــاء

تواكب نجم الشمال اندفاعا ** وتغمر أكوانه بالسنـــــــــاء

ويعضد باديس فيهـــــا البشيـــــر، فتزخر بالخلص الأصفيـــاء (42)

التيار الإدمـــــاجي : كما ظهر في الجزائر التيار الإدماجي متمثلا في حزب البيان الجزائر بقيادة فرحات عباس الذي كان ينادي بسياسة إدماج الجزائر مع فرنسا لكنه سرعان ما تراجع عن مطالبه الإدماجية ، خاصة بعد أن واجه هذا المطلب بالرفض من طرف الفرنسيين في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد عام 1936م، وبعد توبته و تخليه عن فكرته الاندماجية اتحد في توأمة حزبية مع التيار الاستقلالي ، وفي هذا الصدد يقول مفدي زكريا في إلياذته :

أفاق من الوهم حزب البيان ** فأسلم للمخلصين العنـــــــان

وزايله الشك في أصلـــــــه ** فمدت لحزب البيان اليـــدان

وأوحى اندماج فرنسا اندمـــا ** جا لحزبين مرماهما توأمـــــان

فبارك باديس جمع الصفوف ، ** ودشن باديس عهد الأمـــــان (43)

وبعد الحرب العالمية الأولى ارتكبت فرنسا مجازر وحشية في حق الأبرياء الجزائريين ، تأكد من خلالها لقادة الحركة الوطنية عقم النضال السياسي ، و أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، فكانت الثورة التحريرية الكبرى . يقول

مفدي زكريا :

تأدن ربـــــك ليـــلة قدر ** وألقى الستار على ألف شهر

وقال له الشعب : أمرك ربي ** وقال له الرب : أمرك أمري

ودان القصاص فرنسا العجوز ** بما اجترعت من خداع و مكر

ولعلع صوت الرصاص يدوي ** فعاف اليراع خرافـــات حبـــر

وتأبى المدافع صوغ الكلا ** م ، إذا لم يكن من شواظ و جمر

وتأبى القنابل طبع الحرو ** ف ، إذا لم تكن من سبائك حمر

وتأبى الصفائح نشر الصحائف ، ** ما لم تكن بالقرارات تســـري

ويأبى الحديد استماع الحديـــــث ، إذا لم يكن من روائع شعـــري

نوفمبر غيرت مجرى الحيـــاة ، ** وكنت ـــ نوفمبرـــ مطلع فجـــر

وذكرتنا في الجزائر بدرا ** فقمنا نضاهي صحابة بـــدر (44)

إلى أن يقول في مقطوعة أخرى من الإلياذة :

نوفمبر جل جلالك فينا ** ألست الذي بث فينـــا اليقينا ؟

سبحنا على لجج من دمانا ** وللنصر رحنا نسوق السفينـــا

وثرنا ، نفجر نارا و نورا ** ونصنع من صلبنا الثائرينـــــا

ونلهم ثورتنا مبتغانـــــا ** فنلهم ثورتنا العـــالمينـــــــا

وتسخر جبهتنا بالبلايـــا ** فنسخر بالظلم و الظـــــاليا

وتعنو السياسة ، طوعا و كرها ** لشعب أراد .. فأعلى الجبينا

جمعنا لحرب الخلاص شتاتا ** سلكنا به المنهج المستبينـــــــا

ولولا التحام الصفوف وقانا ** لكنا سماسرة مجرمينـــــــا (45)

المبحـــــث الرابع : الحقـــــول الدلاليـــة :

لقد قسم مفدي زكريا " إلياذة الجزائر" إلى قسمين رئيسين هما :

1 ــ قسم الجمال ، أي الجمال الطبيعي للبلاد .

2 ــ قسم الجلال ، أي المجد التاريخي .

و إن كان هناك تداخل بين القسمين في بعض الأحيان .

فعند تعرضه للجمال الطبيعي للجزائر ، نراه يوظف ألفاظا وعبارات تتناسب والغرض المنشود . إذ يذكر ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ما يلي : (**بدعة الفاطر ، روعة الصانع ، جنة، غار منها الجنان ، لجة ، ومضة ، الصفاء ، الجمال ، الضياء ، الغرام ، عروس الدنا ، الحنان ، السماح ، الطماح ، الهناء ، البحر، الزورق ، نبع الجمال ، الورد ، الحب ، الشوق ، الربيع ، الأشجار الفارعات، النجوم ، الحسن ، الدلال** ، ....**الخ** إلى غير ذلك من الألفاظ و العبارات التي وصف بها شاعرنا ــ مفدي زكريا ــ الجمال الطبيعي الساحر الخلاب الذي وهبه الله ــ سبحانه و تعالى ــ لبلادنا الجزائر الحبيبة ، بلاد المعجزات ، بلاد المليون ونصف المليون شهيد. وأثناء ذكره لجمال جزائرنا الطبيعي ، لم يفته ذكر بعض المدن والأحياء الجزائرية التي ألبست هذا الجمال ، فراح ــ بصفة العالم الجغرافي ، والشاعر

المتذوق ـــ يسرد مناطق كثيرة من ربوع جزائرنا العميقة ـــ نذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر ، ما يلي :(**حيدرة ، الأبيار ، بلكور ، القصبة، ساحة الشهداء، الشريعة ، باب الوادي ، وادي قريش ، باينام ، جرجرة ، تقجدة ، سيرتا ، جبل الوحش ، سيدي مسيد ، تلمسان ، وهران ، البليدة ، قصر البخاري ، الأغواط** .... إلى غير ذلك من المدن الجزائرية الجميلة .

أما عندما ينتقل إلى ذكر مجد الجزائر التاريخي القديم والحديث ، نراه يسعى جاهدا إلى توظيف ألفاظ و عبارات تتلاءم و الغرض المنشود ، و لتحقيق ذلك عمد إلى تقسيم تاريخ الجزائر إلى فترات زمنية متسلسلة ، بدءا بتاريخ الجزائر القديم، مرورا بالمقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي ، فالنضال السياسي ، فمجازر الثامن من ماي 1945م ، فالثورة التحريرية الكبرى ، فبناء الدولة الجزائرية المستقلة . ولكل فترة زمنية من هذه الفترات المتسلسلة يختار ألفاظا و عبارات و أسماء أعلام ذات صلات وثيقة بالفترة التاريخية المنشودة أو قل نراه يختار لكل فترة تاريخية من تاريخ الجزائر حقلا دلاليا خاصا ، كما يلي:

أ ـــــ حقل تاريخ المجد الجزائري القديم :

عند التعرض لسرد تاريخ الجزائر القديم و مجده التليد ، نراه يأتي بألفاظ و عبارات تعبر تعبيرا دقيقا عن تلك الحقبة من الزمن ، مثل :(**شادوا البناء ، أقروا النظام ، مهد الأسود ، ربع الكرام ، تحدي الزمان ، صمود الأمازيغ ، مجد العرب ، لعنة الاحتلال ، عظماء الرجال .....الخ** كما يذكر كذلك أسماء أعلام شاركوا في بناء مجد الجزائر ، أمثال : (**أبو حمو موسى الثاني ، يحي ابن خلدون أخو عبد الرحمن ، بولوغين ، ماسينيسا ، يوغرطة ، تكفرناس ، أبولوس ، سانت أوغستين**

، يوبا الثاني ، عقبة بن نافع ، ابن رستم ، ابن حماد ، ابن علناس ، ابن تومرت ... وغيرهم.)

ب ـــــ حقل المقاومة الشعبية :

أما في القسم الخاص بالمقاومة الشعبية فنراه يختار من مخزونه اللغوي ألفاظا وعبارات تفي بالغرض المطلوب، مثل(نذود، نقاوم، نصون الحمى، ثرنا نقاوم، نظمت جيشا، نخوض المنايا، الزعاطشة الثائرون، هزوا الثرى، أذابوا الجبال، أصلى المغير الوبال، ثورة في السهول، ثورة في الجبال، عاصفت الرمال، صوت النفير،..الخ

ونراه يذكر كذلك أسماء أبطال جزائريين قادوا هذه المقاومة ، و أذاقوا فرنسا العذاب المرير، أمثال : (**الأمير عبد القادر ، عبد الرحمن بن زيان ، أبو معزة ، أبو بغلة ، للافاطمة نسومر ، أولاد سيدي الشيخ ، الشيخ الحداد ، المقراني ، أبو عمامة** ... وغيرهم من الجزائريين الأبطال الذين ضحوا بكل ما يملكون من أجل أن تحا الجزائر حرة عزيزة مكرمة.

ج ـــــ حقل النضال السياسي :

لما فشلت المقاومة الجزائرية للأسباب السابقة الذكر، تحول الجزائريون إلى النضال السياسي، فسجل شاعرنا ذلك في إلياذته ، مستعملا في ذلك ثقافته التاريخية وبرعاته اللغوية، فعبر عن ذلك بألفاظ و عبارات تتماشى والغرض المطلوب، مثل:(بح صوت السيوف ، حرب اليراع، النضال، تغذي العقول، جذور الأصالة، المؤتمرات، الأحزاب ، جمع الصفوف ، تغزو السياسة فكر الزعيم ..إلى غير ذلك من الألفاظ والعبارات الدالة على النضال السياسي، دون أن يفوته ذكر بعض المنظمات

الحزبية والسياسية التي ما فتئت تناضل بالطرق السلمية في الداخل والخارج من أجل التعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية، مثل:(التيار الاستقلالي الذي ينادي به حزب نجم شمال أفريقيا بفرنسا بزعامة مصالي الحاج. والتيار الإصلاحي الذي تنادي به جمعية العلماء الجزائريين بزعامة عبد الحميد بن باديس والتيار الإدماجي المتمثل في حزب البيان بقيادة فرحات عباس ..)

د ـــ حقل مجازر الثامن من ماي 1945م :

نجد مفدي زكريا في القسم الذي خصصه لوصف مجازر 8 ماي 1945م يوظف ألفاظا وعبارات تتناسب و بشاعة تلك المجازر التي ارتكبها المستعمر الفرنسي في حق الأبرياء الجزائريين ، الذين لا ذنب لهم ،سوى أنهم طالبوا فرنسا بأن تفي بوعودها ، فكان ما كان من مجازر راح ضحيتها أكثر من خمسة و أربعين شهيدا ، ومن تلك الألفاظ والعبارات نذكر : (ضحايا المذابح ، يوم نحس ، بدد لون الدما كل لبس ، كانت تكافح أحزابنا مع الوهم ، فضائح جند ، ...إلى غير ذلك من الألفاظ و العبارات التي توحي بهول الكارثة ، ثم نراه يذكر لنا أبطال هذه المجازر من الجلادين الفرنسيين ،، أمثال : (لسترادد كاربونيل طاغية قسنطينة ، و آشياري جلاد قالمـــــة ، ... وغيرهما) ، كما يذكر لنا كذلك تلك الأماكن التي كانت مسرحا لهذه المجازر ، والتي ارتوت بدماء الأبرياء حتى الثمالة، أمثال: " سطيف ، قالمة ، خراطة ، عموشة ، بني عزير ...الخ ".

هـــ ـــ حقل الثورة التحريرية الكبرى :

لقد وظف شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا ، في القسم الذي تطرق فيه للثورة التحريرية الكبرى التي انطلقت في أول نوفمبر من عام 1954م ، ألفاظا

وعبارات تتراسل مع الغرض المنشود ، مثل : (ليلة قدر ، دان القصاص فرنسا العجوز ، لعلع صوت الرصاص يدوي، المدافع ، القنابل ، شواظ جمر ، سبائك حمر ، الحديد ، نوفمبر غيرت مجرى الحياة ، مطلع فجر، ثرنا ، جمعنا لحرب الخلاص شتاتا ، التحام الصفوف ، ثورة شعب ، يا تربة أغرقت في الدماء ، يا بلدة عصفت باللئام .....الخ) . و لم يفته كذلك ذكر بعض الانتفاضات و المؤتمرات التي ألهبت نار الثورة ، وخططت ووضعت أسسا ثابتة لمستقبل الثورة على نظام عسكري وسياسي مدروس مثل : (انتفاضة 20 أوت 1955م ، و وادي الصومام الذي انعقد فيه مؤتمر الصومام يوم 20 أوت 1956م ، وكان أول مؤتمر وطني يعقد بعد اندلاع الثورة .....)كما ذكر كذلك أسماء بعض الجلادين الفرنسيين الذين أرادوا قمع الثورة ، أمثال : (بيجار ، سوستال ـــ ماسو ـــ لاسان .... وغيرهم) ، و لم يفته كذلك ذكرأسماء كذلك أسماء بعض الشهداء الجزائريين الأبطال أمثال : (علي لابوانت ، العربي التبسي ، العربي بن مهيدي ، ....و غيرهم

المبحـــث الخامس : الخصائص الأسلوبية في افتتاحيات مطالع المقطوعات :

إن القراءات الإحصائية لإلياذة الجزائر بمقطوعاتها المائة ، جعلتني أقف على افتتاحيات هذه المقطوعات ، علها تساعدنا في تفسير بعض الظواهر اللغوية المهيمنة على الإلياذة ، فوجدتها تتوزع على النحو التالي :

المقطـــــوعـــــات	عددهـــا
المقطوعات التي تبدأ ب " حرف عطف"	42 مقطوعة

المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ "فعل ماض"	22 مقطوعة
المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ " منادى "	15 مقطوعة
المقطوعات التي تبدأ مطالعها ب " اسم"	08 مقطوعات
ألمقطوعات التي تبدأ مطالعها ب " فعل أمر "	03 مقطوعات
المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ " فعل مضارع "	مقطوعة واحدة
المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ " استفهام "	مقطوعة واحدة
المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ " حرف جواب "	مقطوعة واحدة
المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ " كم العددية "	مقطوعة واحدة
المقطوعات التي تبدأ مطالعها بـــ " حرف تنبيه"	مقطوعة واحدة

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن مقطوعات الإلياذة التي افتتحت بـــ " حرف العطف " قد بلغت(42) مقطوعة) ، وبذلك تحتل الصدارة ، إذا قيست بباقي افتتاحيات المقطوعات الأخرى التي تتألف منها إلياذة الجزائر، وما يمكن ملاحظته أيضا هيمنة العطف بـــ " حرف الواو " بشكل ملفت للانتباه ، ليس في افتتاحيات مطالع المقطوعات فحسب ، بل ينسحب ذلك على الإلياذة كلها ، ولا

غرو في ذلك لان شاعرنا في موضع سرد لأحداث تاريخ الجزائر قديمه وحديثه وفق فترات زمنية متسلسلة ، لعب فيها حرف " الواو " دورا بارزا في ربط تلك الأحداث و تماسكها.

أما افتتاحيات مطالع مقطوعات الإلياذة التي بدئت بفعل " ماض " فقد بلغت (22مقطوعة) ، وهذه الأفعال هي : (عرجنا ، سجا ، تسلق ، تقدس ، وقفنا ، وهبنا ، تلقف ، جزى ، أفاق ، تأدن ، تبارك ، تبارك ، خامر ، أتى ، أمرنا ، فرضنا ، شربت ، تسامت ، تماوج ، ذكرنا ، تفسخ ...)

وما يمكن ملاحظته على هذه الأفعال أنها جاءت كلها مبنية للمعلوم ، وأسندت إلى كل الضمائر (المتكلم ، والمخاطب والغائب).

أما المقطوعات التي افتتحت مطالعها بفعل الأمر فلم تتجاوز (03 مقطوعات) هي الأفعال:" سل (مكرر) ودعوا "أما " فعل المضارع " فلم تفتتح به ألا مقطوعة واحدة " أناجيك "

هذا فيما يخص افتتاحيات مطالع المقطوعات التي تكون إلياذة الجزائر ، أما إذا قرأنا الإلياذة كلها قراءة إحصائية ، فنلاحظ بصورة عامة ، أن المركبات الاسمية ، والمركبات الفعلية الماضية ، قد طغت على الإلياذة بشكل واضح وبخاصة في القسم المخصص لوصف جمال الجزائر الطبيعي ،وتخليد مجدها التليد ، وذلك لأن المركبات الاسمية و الفعلية الماضية تدل على الثبات و تتصف بالديمومة ، وكأني به يريد بذلك أن يتحدى المستعمر ، إذ على الرغم من المحاولات المتعددة التي كان يقوم بها لطمس جمال الجزائر الطبيعي ، وهدم مجدها التاريخي العظيم ، إلا أن تلك المحاولات كلها باءت بالفشل الذريع ، و بقيا ثابتين صامدين كالطود.

أما الأقسام التي خصصها للمقاومة الشعبية ، والنضال السياسي ، والثورة التحريرية الكبرى وبناء الدولة الجزائرية المستقلة ، نلاحظ عليها طغيان استخدام المركبات الفعلية المضارعة باعتبارها أفعال تغير وتحول، وذلك لأن الوضع السائد آنذاك يتطلب التغيير بمختلف أشكاله ، تغيير في المواجهة، وتغيير في العقليات ، وتحول من حياة الذل و الهوان التي كرسها الاستعمار بمختلف مراحله ، إلى حياة أفضل ، حياة الحرية والعزة والكرامة التي كرسها نضال مستمر وتضحيات جسام.

البحـــــث الســـــادس : التكـــــرار :

يؤدي التكرار دورا كبيرا في التعبير و الإبلاغ عما يجول في النفس البشرية ، وتبرز القيمة الفنية لهذا التكرار أكثر إذا كان موظفا بصورة محكمة في الفنون الشعرية ، وبحسب ما يتطلبه سياق الموقف . والتكرار في الشعر يكاد يرتبط ارتباطا وثيقا بظاهرة الإنشاء ، فالشاعر الذي يقصد بشعره إلى المحافل والمناسبات والجمهور يكون دائما أحرص على إبلاغ رسالته من طريق التكرار لما له من قيمة في إسماع صوت الشاعر وتحفيظ المستمع لما يقول . وهذا ما ذهب إليه الشاعر مفدي زكريا في إلياذته إذ نراه كثيرا ما يكرر بعض الألفاظ والعبارات والحروف . ومن أهم ما يميز معجمه الشعري في الإلياذة نذكر على سبيل المثال :

أ ــ تكرار اللازمة :

شغلنا الورى ، و ملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصـــــلاة

تســـــابيحه من حنايـــا الجزائر

إن ما يمكن ملاحظته هنا هو تكرار هذه اللازمة في الإلياذة مائة مرة ، و ذلك بعدد المقطوعات التي تتكون منها الإلياذة ، وذلك بهدف التعريف بالثورة الجزائرية المظفرة ،و إعطائها صبغة عالمية يحسب لها ألف حساب في المحافل الدولية ، وجعلها النموذج الذي تقتدي به الثورات التحريرية في العالم.

ومن بين الأهداف التي يرمي إليها من خلال تكرار هذه اللازمة نذكر :

أ ــ الإصرار على إثبات الوجود .

ب ــ التأكيد على الهوية الوطنية

ج ــ التأصيل للذات الجزائرية

فالأفعال التي وظفها الشاعر في هذه اللازمة التي حرص الشاعر على تكرارها في إلياذته مرات عديدة تتراوح بين ماض و مضارع :

أما الأفعال الماضية و هي (شغلنا ، و ملأنا) فهي تفيد أن الفعل قد تحقق لا جدال فيه .

أما الفعل المضارع (نرتله) فيفيد استمرارية الفعل ، مما يدل على الإصرار ، وإثبات الوجود ، واستمرارية الحياة و العقيدة ...

كما يمكننا أن نلاحظ في (شعر نرتله كالصلاة) ، ظاهرة التقديم و التأخير ، فالأصل (نرتله بشعر كالصلاة) ، والهدف منه : لفت الانتباه إلى كلمة (شعر) لما لها من دلالات عدة منها : حركة النفس الشعرية المعبرة عن حركة و ازدحام المشاعر القوية تجاه هذا الوطن، و ذلك كما يتأكد من خلال قوله (تسابيحه من حنايا الجزائر) .

كما نراه أيضا يكرر لفظ " الجزائر " أكثر من مائة مرة ، ناهيك عن تكرارها مرات كثيرة بصيغ أخرى عن طريق الضمائر المنفصلة والمتصلة مثل الضمير المنفصل " أنت " ، والضمائر المتصلة " كاف الخطاب ، وتاء المخاطبة " ، وفي بعض الأحيان يكون التكرار عن طريق لفظة " بلادي "... وهذا يدل دلالة قاطعة على تعلق الشاعر بوطنه " الجزائر " وإيمانه الراسخ بانتصار الثورة التحريرية الكبرى ، والتخلص من براثن الاستعمار الفرنسي .

المبحـــث الـــابع : الوزن والقـــافية :

لقد اعتمد مفدي زكريا في تأليف مقطوعاته الشعرية التي تتكون منها إلياذة الجزائر على البحر المتقارب دون غيره من البحور الشعرية الأخرى . و تفاعيله هي : فعولن فعولن فعولن فعولن (أربعة في كل شطر).

أما إذا انتقلنا إلى القوافي فإن ما يمكن ملاحظته عليها هو أن الشاعر نظم مقطوعاته مستخدما في ذلك (17حرفا) من حروف الروي ، موزعة على النحو التالي ، ومرتبة بحسب كثرة ترددها في الإلياذة :

الرقم	حروف الروي	عدد المقطوعات
01	النون	17 مقطوعة
02	الراء	15 مقطوعة
03	اللام	13 مقطوعة
04	الميم	12 مقطوعة
05	الدال	10 مقطوعات

06	الباء	08 مقطوعات
07	الياء	07 مقطوعات
08	الفاء	03 مقطوعات
09	السين	03 مقطوعات
10	العين	03 مقطوعات
11	الحاء	مقطوعتان شعريتان
12	القاف	مقطوعتان شعريتان
13	الكاف	مقطوعتان شعريتان
14	الهاء	مقطوعتان شعريتان
15	الهمزة	مقطوعة واحدة
16	التاء	مقطوعة واحدة
17	الضاد	مقطوعة واحدة
المجموع	17 حرفا	100 مقطوعة

يتضح لنا من خلال الجدول السابق أن مفدي زكريا نظم إلياذته مستخدما (17حرفا) من حروف القوافي هي: (الهمزة ، الباء ، التاء ، الحاء ، الدال ، الراء ، السين ، الضاد ، العين ، الفاء،القاف ،الكاف ،اللام ، الميم ، النون ، الهاء ، الياء).

وهذا يعني أنه لم يستخدم (12 حرفا) هي : (الألف ، الثاء ، الجيم ، الخاء ، الذال ، الزاي ، الشين ، الصاد ، الطاء ، الظاء ، الغين ، الواو).

وفيما يلي ترتيب حروف القوافي (حروف الروي) التي نظم بها شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا إلياذته على أساس الترتيب التنازلي لعدد المقطوعات كثرة وقلة : قافية النون (17 مقطوعة) ، الراء (15 مقطوعة) ، اللام (13 مقطوعة)، الميم (12 مقطوعة) ، الدال (10 مقطوعات) ، الباء (08 مقطوعات) ، الياء (07) مقطوعات ، الفاء ، و السين ، العين (03 مقطوعات لكل منها) ، الحاء ، والقاف، والكاف ، والهاء (مقطوعتان لكل منها) ، الهمزة ، والتاء ، والضاد (مقطوعة واحدة لكل منها) .

الخـــاتمـــة :

يتضح لنا من خلال كل ما تقدم أن شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في" إلياذة الجزائر" يتمتع بثقافة تاريخية و إسلامية واسعة ، سمحت له بربط الأحداث التاريخية ربطا محكما وفق تسلسل زمني تعاقبي ، ومكنته من امتلاك معجم شعري غني استمد مادته من مصادر شتى ، فقد استمد من القرآن الكريم ألفاظا كثيرة وقد يقتبس منه آيات بأكملها، كما اقتبس كذلك أسماء شخصيات إسلامية كانت لها دورا بارزا في بناء الحضارة العربية و الإسلامية أمثال : خالد بن الوليد و سعد بن أبي وقاص ... و ذلك لاتخاذهم قدوة في البطولة و الشجاعة . كما ذكر أسماء بعض الأنبياء و الرسل أمثال : عيسى ـــ عليه السلام ـــ و رسول البشرية جمعاء محمد ـــ صلى الله عليه و سلم ... وغيرها ، وذلك لإبراز وشائج القرابة والتسامح التي تطبع الأديان كلها ، إلا أن حب التسلط و سيطرة النزعات الاستعمارية على النفوس ،

حولت تلك القرابة و ذلك التسامح إلى عداوة وبغضاء و تطاحن بين الشعوب .كما استطاع الشاعر كذلك أن يستنطق التاريخ الجزائري ، قديمه وحديثه ، ليشكل منه مادة خصبة لمعجمه الشعري ، مقسما إياه إلى فترات زمنية متعاقبة طبقا لأحداث تاريخية معينة ، جاعلا لكل منها حقلا دلاليا خاصا ، إذ نراه يخصص حقلا دلاليا لتاريخ المجد الجزائري القديم، وحقلا للمقاومة و الثورات الشعبية ، و حقلا للنضال السياسي ، و حقلا لمجازر الثامن من ماي 1945م ، وآخر للثورة التحريرية الكبرى ....وهكذا . كما تظهر لنا كذلك براعته في توظيف تلك الاقتباسات القرآنية والتاريخية في أماكنها المناسبة توظيفا سليما ومنسجما، حتى ليخيل للقارئ أو السامع أنها من إنتاجه .

الهوامش و الإحالات :

(1) ــ يوري لتمان ، بنية الشعر الفني ، ص 243

(2) HAWKES : structuralism and semiotics . p 7)

(3) ــ د/ عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر ، جدة النادي الأدبي الثقافي 1985م، 88

(4) ــ مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992م ، ص 37 (5) ــ سورة الفجر ، الآيات : 6،7،8،9

(6) ــ إلياذة الجزائر ، ص 36

(7) ــ سورة الزلزلة ، الآية 1، 2

(8) ــ الإلياذة ، ص 46

(9) ــ سورة يوسف ،الآية 43

(10) ــ الإلياذة ، ص 57

(11) ــ سورة لقمان ، الآية 18

(12) ــ الإلياذة ، ص 34

(13) ــ سورالتغابن ، الآية 1

(14) ــ سورة الأعلى ، الآيات :18،19

(15) ــ أنظر الإلياذة ، ص 42

(16) الإلياذة ، ص 80

(17) ــ الإلياذة ، ص 79

(18) ــ الإلياذة ، ص 85

(19) ــ الإلياذة ، ص 38

(20) ــ زيري : أبو بولوغين

(21) ــ بولوغين : بن زيري بن مناد ، بنى عاصمة الجزائر سنة 392هـ

(22) ــ سيبوس : اسم قديم لعنابة ، بناها زيري بن مناد ، و واد سيبوس يدل على التسمية القديمة .

(23)، (24) ، (25) ــ فيرموس : هو فيرموس بن نابال الملك المازيغي ، مقاوم كبير أدار جبال جرجرة و أفريقيا بأكملها ، و هب لنصرته أهل البوادي من شيعة (دونطوس) و حتى الضباط الرومان . و بويع ملكا على الديار المغربية (أكوسيوم) التي ستصبح فيما بعد عاصمة الجزائر ، فاتخذها " فيرموس " عاصمة له آنذاك ، و استولى على شرشال و قاوم جحافل " الكونت دوسونس " و ما غلب إلا عند ما غدر به أخوه جلدون ، فسلمه للرومان من فراش نومه غنيمة باردة .

(26) ــ أنظر : الإلياذة ، ص 39

(27)،(28) ــ ماسينيسا :ابن غادا الملك المازيغي ، ولد 238 قبل المسيح حينما كانت الحروب البونيقية على قدم و ساق و كان الملك المازيغي " سفاكس " (صفاكس) مواليا للرومانيين ، فنهض ماسينيسا يحارب الرومانيين و سفاكس معا ، و كان مصدر إلهام مسينيسا تزوجه بالعالمة الموسيقارة و الفيلسوفة المؤرخة القرطاجنية القسيسة " سوفونيزيا " ، فأعانه ذلك على إقامة إمبراطورية في نوميديا و جزء كبير من التراب التونسي و أجلى الرومان عن مملكته ، ثم أن الرومان تغلبوا على قرطاجنة البونيفية في واقعة " زامة " و راودوا ماسينيسا على أن يكون حليفا لهم ، و لكنه استمر في الدفاع عن وطنه و كون إمبراطورية قوية ، و طور الزراعة ، مما جعل الرومان يكيدون له ، إلى أن توفى و قد قرب من التسعين ، بعد أن انتصر في " زامـــــة" .

(29) ــ الإلياذة ، ص 39

(30) ــ يوغورطة : أحد الملوك الأمازيغ و حفيد ماسينيسا ولد سنة 145 قبل المسيح ، و اغتنم فرصة الحرب بين روما و قرطاجنة البونيقية فثار على الإثنين ، و أسس الإمبراطورية الأمازيغية ، أقامها على أصول أمازيغية بحتة في نظام الحكم الجمهوري و بعث الثقافة و القيم الأمازيغية الأصيلة و جعل عاصمتها قرطا (سيرتا) قسنطينة اليوم ، و امتد حكمه إلى الغرب التونسي فكانت له عاصمتان " الكاف " و يسمى " شقب النارية " و مدينة " تاله " ، و انضم إليه الأمازيغ فوحد صفوفهم و قادهم من نصر إلى نصر ، و كا يقول : " مدينة رومة مبتاعة لمن يريد شراءها " و كان يستهوي القواد بهذه الوسيلة .

(31) ــ الإلياذة ، ص 39

(32) ــ الإلياذة ، ص 45

(33) ــ الإلياذة، ص 54

(34) ــ الإلياذة ، ص 55

(35) ــ إبن زيان : هو الزعيم الشهيد عبد الرحمن بن زيان الذي قاد الثورة العارمة في واحة الزعاطشة قرب " بسكرة " .

(36) ــ الإلياذة ، ص 56

(37) ــ المصدر نفسه ، ص56

(38) ــ المصدر نفسه ، ص 57

(39) ــ العقيد الفرنسي " بوبريتر Beaupretre

(40) ــ أنظر : الإلياذة ، ص 58

(41) ــ الإلياذة، ص 61

(42) ــ الإلياذة ، ص 62

(43) ــ الإلياذة ، ص 64

(44) ــ الإلياذة ، ص 69

(45) ــ الإلياذة ،ص 70

المصادر و المراجع :

(1) ــ مفدي زكريا ، الإلياذة ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992م

(2) ــ عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التكفير ، من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر ، جدة ، النادي الأدبي الثقافي ، 1985م

(3) ــ يوري لتمان ، بنية الشعر الفني .

(4) HAWKES : structuralism and semiotics